Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التنبيه على الغايات العليا للحياة :

ومن المفاهيم الأساسية في الفقه الحضاري التي أكدتها السنة النبوية ، تبعًا للقرآن : التنبيه على (الغايات العليا) للحياة .

فليست الحياة لمجرد الأكل والشرب ، أو اللهو واللعب .

إن الحياة قصيرة العمر ، سريعة الزوال ، أيام معدودة ، وأنفاس محدودة ، ولكنها نفيسة جدًّا ؛ لأنها مزرعة الدار الباقية ، وهي وحدها المؤهّلة للخلود ، فما يزرع الإنسان هنا : يحصده هناك ، وما يعمله اليوم يجزى به غدًا . فاليوم عمل ولا حساب ، وغدًا حساب ولا عمل : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة ٦ـ٨) .

من هنا كان لا بد للإنسان أن يعرف غايات حياته ، وأسرار وجوده .

ولا يليق بالإنسان ـ الذي سخر الله له ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ـ : أن يكون همه بطنه وشهوته ، شأنه شأن الأنعام المسخرة له ؛ إنما يليق هذا بالإنسان الكافر لا المؤمن ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ (محمد : ١٢) .

ولهذا جاء في الحديث : « إن المؤمن يأكل في مِعًى واحدٍ ، وإن الكافر ـ أو المنافق ـ يأكل في سبعة أمعاء »[1] إشارة إلى أن الكافر لا هم له إلا إشباع الغريزة ، فلهدًا يأكل ولا يشبع ، ويقتني ولا يقنع . والعبرة ليست بكثرة ما يجمع المرء ، بل بقناعة قلبه ، ورضا نفسه . وفي هذا يقول الرسول الكريم : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس »[2] .

ولا يعني هذا ذم الغِنَى ، ولا ذم المال ، كما توهم ذلك بعض المتصوفة . فقد قال عليه الصلاة والسلام لعمرو بن العاص : « نعم المال الصالح للمرء الصالح »[3] ولكنه لا يريد المال غايةً للحياة ، ومعبودًا للإنسان ، إنما يريده وسيلة لا غاية ، يريده عونًا على طاعة الله ، لا هدفًا يراد لذاته .

---

(١) متفق عليه، عن ابن عمر وأبي هريرة . اللؤلؤ والمرجان (١٣٣٤ ، ١٣٣٥) .

(٢) متفق عليه، عن أبي هريرة ـ اللؤلؤ والمرجان (٦٢٤).

(٣) رواه أحمد عن عمرو، وقال الهيثمي : رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح (٤/ ٢٠٢) ورواه البخاري في الأدب المفرد (٢٩٩) وصححه ابن حبان كما في الإحسان (٣٢١٠ ، ٣٢١١) .